ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

**Nawras Hashim Jabr Harbi Al-Quraishi**
University: University of Wasit
College: Faculty of literature
Email : nawrash149@uowasit.edu.iq

**Mahdi Moqadasi Nia**
University of Qom, Faculty of literature and humanities, Arabic Language and Literature Department Email : m.moqadasi@qom.ac.ir

**Mahdi Naseri**
University of Qom, Faculty of literature and humanities, Arabic Language and Literature Department
Email : mahdinaseri23@yahoo.com

***Keywords:***
Imageology; the Christian other; One Thousand and One Nights; Abbasid literature

A R T I C L E I N F O

***Article history:***

| | |
|---|---|
| Received | 16 Mar 2024 |
| Accepted | 7 Jun 2024 |
| Available online | 1 Jul 2024 |

# The image of the Christian other and its development in the book One Thousand and One Nigh

A B S T R A C T

Throughout the ages, Muslims have had diverse relationships with various followers of the Abrahamic religions, including Christians and Jews, but they were not at the same pace, but were influenced by the arts of events. One of the important sources that provide us with information about the nature of this relationship is the book One Thousand and One Nights, which has important value in the field of social history. This study attempts to reveal The image of the Christian other and its development in the book One Thousand and One NighThe image of the Christian other and its development in the book One Thousand and One Nigh . In this study, based on a descriptive analytical approach, Christian characters were classified into Arab and non-Arab, and female characters were separated from male characters. There are four stories that are mainly focused on. The results show that there are female characters, such as slave girls and non-maids, who have good knowledge of Arab history, stories, and literature and were raised in order to accomplish political or military tasks. These stories contain a warning against these women, as approaching them is a step towards a trap. the image of Arab Christians, it is positive at first, but it soon changes as the book warns readers not to trust them and they are portrayed as people who have not truly converted to Islam. Regarding the comparison between Christians and Jews, it must be said that the book is almost devoid of talk about Jewish women, Jewish priests and their places of worship. While the book is full of talk about Christian women, the Patriarchs, and Christian churches.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3493

## صورة الآخر المسيحي وتطوّرها في كتاب ألف ليلة وليلة

م.م. نورس هاشم جبر القريشي / جامعة واسط / كلية الآداب
د. مهدي مقدسي نيا / جامعة قم / كلية الآداب والعلوم الإنسانية
د. مهدى ناصري / جامعة قم / كلية الآداب والعلوم الإنسانية

**الخلاصة:**

كان للمسلمين على مرّ العصور علاقات متنوعة مع مختلف أتباع الأديان الإبراهيميّة من النصارى، واليهود، ولكنّها لم تكن على وتيرة واحدة، بل كانت متأثرة بفنون الأحداث، والتنافسات. من المصادر المهمّة التي تقدّم لنا معلومات عن كيفية هذه العلاقة كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي له قيمته المهمة في مجال التاريخ الاجتماعيّ. وتحاول هذه الدراسة الكشف عن صورة الآخر المسيحي، وتطورها في الكتاب. في هذه الدراسة المعتمدة على منهج وصفي تحليليّ قوامه عن صورة الآخر ، تمّ التركيز على أربع قصص بشكل أساسيٍ. ويتم بعد ذلك تصنيف الشخصيات المسيحية الموجودة في هذه القصص إلى العربية، وغير العربية كما تمّ فرز الشخصيّات النسائيّة عن الشخصيّات الرجاليّة. تظهر النتائج وجود شخصيات مسيحية نسائية غير عربية من مثل الجواري تمّ تربيتهن وتثقيفهن بغية إنجاز مهام سياسية أو عسكرية، إذ تتحول هذه الرغبة العارمة لديهم لامتلاك عدد أكبر من الجواري تعد لملوك المسلمين، ولذلك نرى الكـُـتـَّاب يحذرون عبر القصص التي يروونها الطبقة الحاكمة من هذه الظاهرة. من ناحية أخرى، يتحدث الكُتَّاب عن شخصيات قصصية أخرى مسيحية (من غير العرب) تمكنوا من النفوذ في المجتمع الاسلامي المسلمين عبر ظهورهم بمظهر زهاد، وعارفين ليحذروا بذلك من ثغرة ثانية. فهذه التحذيرات تدلنا على مدى انتشار ظاهرة الاهتمام بالجواري من ناحية، وانتشار الزهد، والعرفان من ناحية أخرى في تلك الآونة من التاريخ. ويعدّ عدم التدخل في الخلافات التي قد تنشب بين ملك مسيحي، وآخر، وضرورة تهذيب الجيوش ؛ لكي لا يتصرفوا كطوائف من الرسائل التي يحاول الكتّاب إبلاغها لملوك المسلمين. أما صورة النصارى العرب فإنها إيجابية في البداية حيث نجدهم يمتازون بالأمانة واحترام الآخرين مع بعض الانتقادات التي تكون محورها تعاطيهم الخمر، غير أن هذه الصورة سرعان ما تتغير ؛ إذ نرى الكتاب يحذرون من الوثوق بهم وبإسلامهم؛ لأن هؤلاء بحسب تصور كتّاب ألف ليلة وليلة يطمحون الى التمتع بحقوق المسلمين من دون أن يسلموا حقيقة، إذن هناك تحذير من المسلمين الجدد.

الكلمات المفتاحية: صورة ؛ الآخر المسيحي ؛ ألف ليلة وليلة ؛ الأدب العباسيّ

1 ـ المقدمة

تُعَد المسيحية من الديانات المتواجدة في الجزيرة العربية، والبلاد المجاورة لها أثناء ظهور الإسلام؛ إذ يقول عنهم غودارد (2000: 15 ـ 16) «في الشمال الغربي للجزيرة العربية، وباتّجاه بيت المقدس، والبحر المتوسط، بعض القبائل العربية المتواجدة عند حدود الإمبراطوريّة البيزنطية، اعتنقت المسيحيّة. كما أنّه كانت هناك قبائل في العراق، وكذلك اليمن رحبوا بهذه الديانة».

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويقول فراستو (Ferassetto، 2020: 2) عن الأمر: « في الشمال الغربي باتجاه سوريا والقدس، وعلى طول الحدود مع الإمبراطورية البيزنطية، اعتنق عدد من القبائل العربيّة المسيحيّة في وقت مبكر من القرن الثالث, عندما كان الإمبراطور الروماني ماركوس يوليوس فيليبوس (فيليب العربي) مسيحيًّا. وفي القرن الرابع اعتنق بنو غسان المسيحية، وظلوا جماعة قوية لمختلف الأجيال. وفي شمال شرق الجزيرة العربية، وعلى طول حدود الإمبراطوريّة الفارسيّة، اعتنقت قبيلة لخم المسيحية، وأثبتت أنّها منافس مهم سياسيًّا، ودينيًّا للغساسنة. وأخيرًا في (أقصى الجنوب) في منطقة اليمن الحديث، أُسست مجتمعات مسيحيّة، وأهمّها في نجران، من خلال تأثير مملكة أكسوم العظيمة في ما يعرف الآن بإثيوبيا»

والنقطة المهمّة التي لا بدّ من الإشارة إليها أنه هناك فئات مختلفة من المسيحيين تعامل معهم المجتمع الإسلامي، فبعض منهم كانوا جزءا من المجتمع العربي الإسلامي ؛ إذ كان لهم عرق، ومعرفة، وثقافة عربية؛ لكن هؤلاء لم يكونوا الفئة المسيحية الوحيدة التي تعرف عليها المجتمع الإسلامي؛ فقد كانت هنالك فئات أخرى معروفة بهويتها الدينية المسيحية تنافسها أأو تعاديها. إلى جانب ذلك، فتح المسلمون (أمصارًا) جديدةً، وهذا أدى إلى تعرف المجتمع الإسلامي على فئة جديدة من المسيحيين الذين لم يكونوا جزءا من الحضارة العربية أو عارفين بلغتهم ولا بثقافتهم. إذن يضم ملف العلاقات بين المسلمين، والمسيحيين، وبشكلٍ خاصٍّ أثناء الحكم العباسي الممتد لقرون طويلة، والأزمان التي تلت هذا الحكم صفحات مختلفة يوحي بعضها بالتعايش السلمي بين الجانبين، ويوحي بعضها الاخر بالتنافس والعداء.

وهناك عدة مصادر يمكن اللجوء إليها عند دراسة هذه العلاقة، ومن أهمها التراث الأدبي القصصي؛ إذ يشير ألبرشت (أنظر ألبرشت 436.425.1954) إلى أنه يتم تفسير الأدب على أنه يعكس المعايير، والقيم، ويكشف عن روح الثقافة، وعمليات الصراع الطبقي، وأنواع معينة من الحقائق الاجتماعية. من الكتب التي لها قيمتها في الجانب الاجتماعي، يمكن الإشارة إلى كتاب ألف ليلة وليلة الذي كان كتاب «الفهرست» من أهم المصادر العربية التي تطرقت إلى وجوده. فما ورد في الفن الأول من المقالة الثامنة لهذا الكتاب يدل على تكونه من قصص فارسية تم تعريبها,و تنقيحها وإضافتها. (ابن النديم، 1997: 369)

يقول إ(Irwin، 1994: 3) عن قيمة الكتاب الاجتماعية: «يعد كتاب ألف ليلة وليلة مصدرًا قيمًا للتاريخ الاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، وأوائل العصر الحديث.» مؤكدا أن هذا الكتاب يضم قصصا تدعو القراء إلى الصمود والحذر والكرم، وما إلى ذلك، كما أنه يعد مصدرًا مهمًّا عن الحياة الخاصة، والشريحة الاجتماعية السفلى.

يقول (Farag،1976:197) : «هذه المجموعة الأكثر شهرة من الحكايات العربية توفر معلومات غنية عن الظروف الاجتماعية في الشرق في العصور الوسطى؛ وهذا الجانب مستقل تمامًا عن كونه عملًا أدبيًّا جديرًا بالتقدير، والذي يركز على أنماط معينة من الحياة، والفكر الشرقي. تم استيراد المواد اللازمة لمثل هذه الحكايات من جميع أنحاء الإمبراطورية الإسلامية، وخاصة من بلاد فارس، والهند. وعلى مر القرون المتعاقبة أصبحت الثقافة العربية أكثر ثراء وتنوعا. وظهرت حكايات جديدة، ومبتكرة في مراكز الثقافة العربية» .

افاد الباحثون من بحث أنجزته الشاوي (349:2022) ؛ إذ نراها تتطرق إلى تمسك كثير من النقاد ويكررون قول المسعودي ورأيه في كتاب ألف ليلة وليلة مع انه ذكر- كما يرى النقاد –بصريح العبارة وكعنوان رسمي بوصفه اول كتاب تاريخي ،إلا انه ذكره في الخطوات الاولى على انه خرافة.

ليس من الغريب أن يلوح بأفق الكتاب تجاذب الأمم على مؤلفه، لكن يبقى الصوت الأهم انه بلغته العربية، وبحدسه العربي، وبأشعاره العربية فكيف يمكن أن تعزل خياله العربي و لاغرو (إن أبدع العربي" ألف ليلة وليلة " وهو الذي أبدع الحيوان والبيان والتبين،ونشور المحاضرة "وغير ذلك كثير كثير ،لكنه في الليالي كان أكثر سحرا واعم انتشارا ،يتحرك بحرية،فيطير حيث لا يستطيع احد الوصول، وينزل إلى باطن الأرض،حيث المدن والقصور) الشاوي(348:2022).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يعد كتاب ألف ليلة وليلة مصدرًا اجتماعيًّا مهمًّا، يحاول الباحثان الكشف عن واقع العلاقات الإسلامية المسيحية ,كما تصورها قصص ليالي العرب موجهين سعيهما إلى دراسة تطور صورة النصارى أيضا. أما أهم الأسئلة التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها فهي :

1 ـ هل تم وصف جميع الشخصيات المسيحية بنمط مشابه؟

2 ـ هل تغيرت صورة المسيحيين في كتاب ألف ليلة وليلة ؟

3 ـ ما أسباب تغيير صورة المسيحيين في قصص ألف ليلة وليلة ؟

فيما يتعلق بالدراسات السابقة يمكن القول إن أقرب بحث لهذه الدراسة هو دراسة نبيل مطر (Matar، 2008 ، في البداية يشير إلى النسختين من كتاب ألف ليلة وليلة، وهما النسخة السورية، والنسخة المصرية مؤكدا أن النسخة السورية تضم قصة واحدة، تشير إلى صورة المسيحيين، وهي قصة الأحدب، مضيفًا أن: «النسخة المصرية من الكتاب تصور المسيحيين في أدوار، ومناطق جغرافية مختلفة من الرهبان إلى المحاربين، ومن القراصنة إلى المحتالين ذوي العيون الزرقاء. تستخدم القصص أيضًا مصطلحات مختلفة للإشارة إلى المسيحيين: «النصارى»، وهو مصطلح قرآني يشير إلى مسيحيي الإمبراطورية الإسلامية،

الناطقين بالعربية، وجديرين بالثناء ،وكذلك «الذمي»، مصطلح ديني يشير إلى المسيحيين المحميين داخل المجتمع الإسلامي، و«الروم» مصطلح قرآني يشير إلى مسيحيي الإمبراطورية اليونانية/البيزنطية، الذين يتحدثون اليونانية، ولكنهم أيضًا على دراية باللغة، والحضارة العربية؛ و"إفرنج" من كلمة "فرانك" التي تشير إلى المسيحيين في منطقة البحر الأبيض المتوسط الأوروبية، وهم معارضون تمامًا. تؤدي هذه الأدوار، والتسميات المختلفة إلى تعقيد تصوير كتاب ليالي العرب للمسيحيين» (Matar، 2008).

وقد أفاد الباحثون من التصنيف المقدم من قبل الباحث مطر(2008) ، فقد اعتمدوا عليه لمعرفة فوارق مكونات صورة المسيحيين الذين عاشوا في ظل حماية إسلامية ، وآخرين كتب لهم العيش في بلد ديانة أهلها المسيحية.

أما البحث الثاني فهو بحث أنجزته ماجدة حمود(2011) ، إذ نراها تتطرق في بحثها إلى صورة أتباع مختلف الديانات (المسيحية منها ، اليهودية) ، والأشخاص المنتمين إلى مختلف القوميات في كتاب ألف ليلة وليلة. الباحثة في ذلك الجزء الذي يخص صورة المسيحيين تتطرق إلى مواقف قصصية ، مؤكدة أن الكتاب يضم شخصيات مسيحية إيجابية ، وأخرى سلبية . ومن الشخصيات الإيجابية الراهب الذي ينصح الملك أفريدون بحقن الدماء، وذلك بالبروز لملك المسلمين كما يمكن الإشارة إلى وفاء بنت الملك حردوب لمبادئ إنسانية. تقدم لنا الباحثة قائمة من العبارات التي تدل على الموقف السلبي ، والإيجابي من الآخر المسيحي، من دون أن تتطرق إلى التفاصيل المتعلقة بالأسباب التي تكمن وراء مختلف المواقف.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أما البحث الآخر الذي له علاقة أيضا بهذا البحث فهو ما أنجزه (القريشي ، ومقدسي نيا2024) ، إذ أشار الباحثان إلى أنّ الشخصيات المتواجدة في قصص ألف ليلة وليلة ، تقتصر مشاغلهم على الطب ، والتجارة وخدمة الملوك في دواوين لها علاقة بشؤون مالية. من ناحية أخرى ، تطرقا في بحثهما إلى تصرف اليهود اتجاه المسلمين اذ يتم تصويرهم بوصفهم أشخاصا ، لا يريدون أن يشكلوا أذى لأحد ، بل يريدون احترام خصوصيتهم . ما توصل إليه البحث يدل على أنّ اليهود المقدَّمين في كتاب ألف ليلة وليلة هم ضحايا.

أما فيما يتعلق بموقف الباحثين غير العرب تجاه صورة المسيحيين في كتاب ألف ليلة وليلة ،يمكن الإشارة إلى بحث أنجزه أولريش مارزولف وريتشارد فان ليبوين (253،689:2004) وفيه أكدا أن اليهود ، والمجوس، وأيضا المسيحيين في الليالي ((يتم تصويرهم كقاعدة عامة على أنهم أشخاص يمارسون عادات مقززة . يعد المسيحيون , وأدوارهم بمثابة صورة نمطية سلبية.على مستوى الشخصيات الفردية ، يتم تمثيل المسيحيين كأشرار ، ومحتالين ، غير أن مؤلفي الليالي لم ينظروا إلى المسيحيين على أنهم أشرار عدائيين بنيويًا. تعترف الليالي بالمسيحيين ، واليهود على أنهم أهل الكتاب ، وبالتالي يتمتعون بوضع ذمي في الأمة الإسلامية.

أما كوهين، وآخرون (أنظر: 2013Cohen et aL) يعدون كتاب ألف ليلة وليلة كأدب عنصري، مؤكدين على أن البيزنطيين ظهروا كجبناء في (ليالي العرب) ، كما أن الفرنجة قُدموا كبربريين فاسقين.

حاول الباحثون الغربيون أن يقدموا المسلمين بوصفهم أشخاصا لديهم انتماءات عنصرية تجاه الآخر، وذلك بالاعتماد على ما ورد في كتاب ألف ليلة وليلة ، بينما نسوا أو تناسوا أن يتطرقوا إلى أسباب هذه المواقف التي يصفونها بالعنصرية . فيتحول المسيحيون من مواطنين عاديين يتمتعون بكافة الحريات إلى منافسين.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسة الأولى هي كونها تركز على الأسباب المؤثرة في مكونات صورة الآخر المسيحي، والنصراني، وتطورها، وذلك إلى جانب التحذيرات التي أطلقها كتّاب ألف ليلة وليلة في مختلف المواقف القصصية بخصوص التعامل مع المسيحيين أو النصارى.

الدراسات السابقة تطرقت للمسيحيين ، واليهود ولم يتطرقوا إلى الآخر المسيحي أو اليهودي...، وهي دراسات متناقضة النتائج لم تتطرق إلى مضمون البحث الحالي.

لغرض هذا البحث، تم اختيار عدد من القصص تظهر فيها شخصيات مسيحية، من أهمها قصة الملك عمر النعمان، وولديه، اللذين دخلا في حرب ضد الروم، والفرنج. أما القصة الثانية فتخص مصير حب بين «علي شار»، والجارية زمرد، التي حاول شخص نصراني امتلاكها. أما القصة الثالثة تسرد لنا قصة «المسلم الجريء، والنصراني»، أما الرابعة فإنها تروي لنا قصة «إسلام الراهب»؛ إذ تزودنا بما جرى لمسلم وقع في حب بنت نصرانية، ولكنه لم يرض بأن يعتنق النصرانية أو يرتكب فاحشة، فلم يكن مصيره إلا القتل على يد أهل القرية، التي كانت تعيش فيها البنت النصرانية غير أنّ الله منّ عليه باستجابة دعائه للزواج منها في يوم القيامة.

تم تصنيف الشخصيات المسيحية، وذلك وفقًا لاماكن تواجدهم، إذ قام الباحثون بتصنيف الشخصيات إلى الذين عاشوا في أقطار إسلامية، والآخرين الذين سكنوا في بلاد غير إسلامية. كما بادر الباحثان إلى فرز الشخصيات النسائية عن الشخصيات الرجالية.

أما النظرية التي تم الاعتماد عليها في تحليل صورة الآخر، فهي نظرية بيجو التي تعتمد على ثلاث ركائز : الركيزة الأولى هي المستوى المعجمي؛ إذ يتم فيه دراسة الكلمات التي تم استخدامها في وصف الآخر، والركيزة الثانية هي الوحدات الهيكلية الأكبر للنصوص.(كائو ، 30:2014) لقد اعتمد الباحثان على الركيزتين الأولى ، والثانية في هذه الدراسة.

في المرحلة الأولى ، وعند المستوى المعجمي ، قام الباحثون بدراسة السمات التي تم اسنادها إلى الشخصيات المسيحية؛ لأنه هناك صفات متنوعة تم استخدامها لوصف الآخر المسيحي ، فبعض هذه الصفات إيجابية ، والأخرى سلبية. في المرحلة الثانية ، يحاول الباحثون دراسة دور هذه الشخصيات في حبكة القصة لنعرف كيف تمكن هؤلاء من التأثير في مسار القصة.

2 ـ صورة المسيحيين في كتاب ألف ليلة وليلة

يتم تصنيف المسيحيين الموجودين في قصص ليالي العرب إلى أقسام مختلفة ؛ إذ نجد هناك فروقا واضحة في الأوصاف التي تم يعازها إليهم ، فالبعض منهم نصارى ينتمون إلى عرق عربي، ويتكلمون بالعربية ؛ إذ يعدون جزءا لا يتجزأ من المجتمع العربي الإسلامي، ولكن بعضا آخر تعرفوا على اللغة العربية وثقافتها، وذلك بفضل الفتوحات التي أدت إلى تعرف العالم العربي، والإسلامي على مجتمعات مسيحية جديدة لم يكن يعهدها، ويعرفها مسبقا، أيّ دولة الروم، والإفرنج.

2 - 1 ـ النصارى في العالم العربي

2 - 1 - 1 ـ الصورة الإيجابية للنصارى

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فأول شخصية مسيحية هي شخصية رجل يبيع الزيتون ؛ إذ ورد في الكتاب عنه «فما صدق الحمال بذلك، وأخذ القفص، وتبعها إلى أن وقفت على باب دار، فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني، فأعطته دينارًا، وأخذت منه مقدارا من الزيتون، ووضعته في القفص» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 58) .

يشير هذا النص إلى معرفة جزء من المهن التي كان النصارى يزاولونها في تلك الآونة من التاريخ؛ إذ نجدهم يبيعون الزيتون. أما كلمة (نزل لها رجل نصراني) فيدل على أن البيت الذي كان يسكنه تاجر الزيتون مكونا من طابقين، وهذا الأمر يمكن وصفه دالا على الرخاء الذي قد تنعم به النصارى في ظل الحكومة العباسية.

يمكن القول: إنه من مشاغل النصارى في مرحلة الحكم العباسي، يمكن الإشارة إلى بيع الزيتون ، وقد يكون هذا الزيتون مستوردا من دمشق ، ومناطق مسيحية تحيد بها.

أما الشخصية المسيحية الثانية فظهرت في قصة الأحدب ؛ إذ يقول الراوي عنه: «وإذا بنصراني وهو سمسار السلطان، وكان سكران، فخرج يريد الحمام، فقال له سكره: إن المسبح قريب. فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الأحدب وجعل يريق الماء قباله، فلاحت منه التفاتة فوجد واحدا واقفا، وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل، فلما رأى الأحدب واقفًا اعتقد أنه يريد خطف عمامته، فطبق كفه ولكم الأحدب على رقبته، فوقع في الأرض، وصاح النصراني على حارس السوق، ثم نزل على الأحدب من شدة سكره ضربا،

وصار يخنقه خنقا، فجاء الحارس فوجد النصراني باركا على المسلم وهو يضربه، فقال الحارس: قم عنه. فقام فتقدم إليه الحارس فوجده ميتا، فقال: كيف يقتل النصراني مسلما؟ ثم قبض على النصراني» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 58).

فالنصراني الذي نجده في قصة «الأحدب» يزاول السمسرة لدى السلطان؛ حيث يدل ذلك على أنهم كانت الفرصة متاحة لهم أن يتعاملوا مع البلاط. من ناحية أخرى، النصراني في هذه القصة إنسان طيب على أنه بسبب سكره يقوم بقتل الأحدب . إنّ السكر من المواصفات التي تنسب للشخصيات النصرانية في كتاب ألف ليلة وليلة ، وهذا ما تم الإشارة إليه من قبل جولين (Jullien،962:2013) ؛ إذ يقول ((يُصور المسيحيون في كتاب ألف ليلة وليلة سكارى)).

يُظهر السمسار النصراني في حكاية له مع شاب مسلم أراد أن يبيعه كمية مدى التزامه بالقيم الأخلاقية ؛ إذ نراه يحتفظ بالمال الذي يخص الشاب المسلم، وفي كل مرة يأتيه الأخير يحاول تسليم دراهمه له، طبعا في قصة السمسار إشارة إلى أن هؤلاء أهل للثقة.

2 - 1 - 2 ـ تطور صورة النصارى العرب

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أما الموقف الآخر الذي تظهر فيه شخصيات مسيحية في كتاب ألف ليلة وليلة هو قصة «علي شار»، و«الجارية زمرد»؛ إذ نرى بأن الجارية زمرد تختار علي شار كسيدها رافضة بذلك كل من تقدم لشرائها فذلك يثير غضب «رشيد الدين» النصراني الذي يحاول بشتى الطرق امتلاك الجارية فيطرح الفكرة على أخيه «برسوم»، ويستمد منه ليتوسل الأخير بشتى الطرق للحصول على الجارية.

فبداية القصة تبدأ بمحاولة النصراني «برسوم» الاقتراب من بيت علي شار لتنفيذ خطته حيث نجده يتابعه إلى بيته. لقد ورد في القصة: «فوجد (علي شار) النصراني ماشيا خلفه. فقال: يا نصراني، مالك ماشيا خلفي؟ فقال له: يا سيدي إن لي حاجة في صدر الزقاق، الله لا يحوجك» (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 24).

ينتبه علي شار إلى ملاحقة النصراني إياه وذلك عند وصوله إلى الدار، فيخاطبه: «يا ملعون، ما لك تتبعني أينما أسير؟ فقال يا سيدي، اسقني شربة ماء فإني عطشان، وأجرك على الله». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 24) فبعد شرب الماء، يطلب البرسوم كمية من الطعام، فعندما يواجه إجابة «علي شار»، يقترح عليه أن يعطي له 100 دينار ليشتري له شيئا للأكل فعندما يأتي علي شار بالطعام فيدعوه النصراني بأن يشاركه في الطعام فيقوم بدس السم في الطعام ليفقد وعيه.

فالرسالة التي توحيها هذه القصة في هذا المقطع أنه لا يسمح بالنصارى أن يدخلوا إلى بيوت المسلمين ولا يمكن الوثوق بهم، ومن ناحية أخرى يجب أن لا يُخدع المسلم بالمال الذي يعطيه شخص مسيحي لأنه قد يكون شركا لامتلاك ما يملكه الشخص المسلم.

أما الجزء الآخر من القصة ففيه تركيز على ما مرّ على الجارية زمرد بعد نجاح «برسوم» النصراني في خطفها فإنه يحمل الجارية إلى قصر أخيه «رشيد الدين». وصف كتاب ألف ليلة وليلة «رشيد الدين» أنه كان في الأصل كاهنا ماكرا مخادعا فاجرا يظاهر الإسلام. (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 27) العبارات الواردة في كتاب ألف ليلة وليلة عن رشيد الدين تدعو القارئ إلى أن يكون حذرا في التصرف مع المسلمين الجدد خاصة المسيحيين منهم.

فرشيد الدين النصراني يعتدي على حرمة الجارية زمرد قائلا «وحق المسيح والعذراء، إن لم تطاوعيني، وتدخلي في ديني لأعذبنك بأنواع العذاب». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 28) حسب حمود (121:2011) «نلمس فيها ملامح صراع ديني، حيث يتم قهر المختلف دينيا، وإلغاء خصوصيته، فيتحول انتقام الرجل من المرأة التي رفضته، وقبلت برجل مختلف، إلى انتقام ديني، لهذا أراد أن يجبرها على تغيير دينها.»

يمكن أن يكون من أشد أنواع التعذيب في كتاب ألف ليلة وليلة إجبار إنسان أو إنسانة على تغيير ديانتها، إذ نجد «رشيد الدين» بعد الاعتداء على حرمة الجارية يحاول كل المحاولة أن يفرض عليها تغيير الديانة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فبعد خلاص الجارية زمرد من الظروف التي عاشتها عند فراق علي شار، نجدها تتحول إلى سلطانة محاولة العثور على سيدها. تأمر الجارية زمرد بإعداد وليمة فيحضرها «برسوم» ففي هذا الموقف، يصف الكاتب تصرفات برسوم بالعبارات التالية: «ثم إن برسوم تقدم، وجلس مع الناس يأكل، فنظر إلى صحن أرز حلو مرشوش عليه سكر، وكان بعيدا عنه، فزاحم عليه ومد يده إليه وتناوله ووضعه قدامه، فقال له رجل بجانبه: لم لا تأكل من قدامك؟ أما هذا عيب عليك، كيف تمد يدك إلى شعيد بعيد عنك، أما تستحي؟ فقال له برسوم: ما آكل إلا منه. فقال له الرجل: كل لا هناك الله به». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 39)

طبعا الموقف أعلاه، إذا دل على شيء، فإنما يدل على شره الأكل لدى برسوم النصراني حيث يتصرف وكأنه لم تتسنّ له سابقا فرصة لأكل مثل هذا الطعام. يحاول الكاتب أن يصور برسوم كرجل يرى ذلك الطعام حكرا على نفسه. ثم تخاطب الجارية زمرد برسوم قائلة: «ويلك من أزرق العينين! ما اسمك؟ وما سبب قدومك إلى بلادنا؟ فأنكر الملعون اسمه، وكان متعمما بعمامة بيضاء». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 40).

فالعبارات المذكورة أعلاه تشير إلى ميزة النصارى الفيسيولوجية المتمثلة في امتلاك(عيون زرقاء) ، كما تشير إلى محاولة الأقلية المسيحية للتنكر بزي المسلمين الإجراء المرفوض من قبل الحكومات الإسلامية حيث حددت لهم منذ تولي عمر بن الخطاب الخلافة شروط تقضي بارتداء ملابس تميزهم عن المسلمين . لقد أشار علماء كثيرون ك(Tritton:1970، Cohen:1999، Bonner:2010)إلى أنه كان على أهل الذمة ارتداء ملابس علوية فريدة من نوعها، وكان الهدف منه تسهيل تعرف المسلمين على الذمي ، وتمييزه عن سائر المواطنين.

يعد شره الأكل من السمات المشتركة بين برسوم، وأخيه رشيد الدين ؛ إذ يصف الكاتب إسراع رشيد الدين للتمتع بأكل ما تم وضعه على المائدة بهذه العبارات: «حانت منها (الجارية زمرد) التفاتة فنظرت إنسانا داخلا من باب الميدان يهرول وما زال يهرول حتى وقف على السماط، فلم يجد مكانا خاليا إلا عند الصحن فجلس فيه، فتأملته فوجدته الملعون النصراني الذي سمى نفسه رشيدالدين». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 44)

ما مرّ ذكره يقودنا إلى قناعة مفادها أن صورة النصارى قد تغيرت كل التغير أثناء مختلف العصور التي مرت على المسلمين كما حدث ذلك بالنسبة لصورة اليهود في كتاب ألف ليلة وليلة، إذ أشار كوهين، وآخرون (Cohen et al، 2010) إلى أن النواة المبكرة لكتاب ألف ليلة وليلة كانت خالية من أي جوانب سلبية ?، ولكن بعض القصص التي تمت إضافتها لاحقا تضم رؤية سلبية إلى الأقلية، إذن كلام كوهن فيه تلويح إلى التطور الذي حصل على مر العصور في الرؤية تجاه الأقليات. فالنصارى المقدَّمون في البداية كانوا أناسا طيبين، وما صدرت منهم تصرفات سيئة إلا بسبب السكر، ولكن هذه الصورة تتلاشى في الأجزاء المتأخرة من الكتاب ؛ إذ نجد القصص تدعو المسلمين إلى عدم الوثوق بالنصارى خاصة التجار منهم، وأن لا يسمحوا لهم بدخول بيوتهم؛ لأنه قد يؤدي ذلك إلى حادث لا يحمد عقباه؛ كما أنه يجب أن يتم أخذ الحذر عند التعامل مع المسلمين الجدد الذين قد يجعلون من إسلامهم الظاهري وسيلة لتحقيق أهدافهم. كما أن في هذه القصص بعض الإشارات إلى الأهداف التبشرية للنصارى.

النقطة المهمة التي يجب أن لا ننساها هي انتماء الأغلبية الساحقة من النصارى المذكور أسماؤهم إلى الطبقات الاجتماعية العليا كالتجار أو أصحاب محلات ؛ إذ لا نجد شخصا منهم يمارس الزراعة أو أشغالا أخرى. يبدو أن الكتاب وجهوا جل اهتمامهم نحو الحديث عن شريحة خاصة من المسيحيين الذين كادوا يتمكنون من القيام بإجراء ضد المسلمين، وذلك دون أخرى من الشرائح.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

3 ـ الشخصيات النصرانية الرومانية

لم يكن تعامل المسلمين مع المسيحيين منحصرا في المواطنين النصارى القاطنين في ظل عطف الحكومات الإسلامية بل كان هناك نصارى من غير العرب ، عاشوا في أماكن خارج الحدود، والثغور الإسلامية.

3 - 1 ـ الشخصيات النسائية

أول فئة من الشخصيات النسائية الرومانيات فئة الجواري؛ إذ تقول الباحثة ناهضة مطر حسن(113:2007 عنهن :«قصور الخلفاء تضم الآلاف من الجواري اللواتي اتخذ بعضهن للخدمة في حين اتخذ البعض الآخر منهن للزواج»؛ كما يقول سولاف فيض الله حسن (175:2004ان مفهوم الجارية تطور في العصر العباسي عما كان عليه في العصر الأموي؛ إذ كانت أعمال الجارية الخدمة في البيوت ليس الا، فيما احتلت الجارية في العصر العباسي مكانة متميزة، ومرموقة في الحياة الاجتماعية، ولاسيما لدى الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والقادة الذين اتخذوا من الجواري المتميزات زوجات لهم، وأمهاتًا لأولادهم.

أول جارية نصرانية تظهر في قصص ألف ليلة وليلة هي «صفية» التي وهبها ملك نصراني إلى الملك عمر النعمان وهي في الحقيقة كانت بنتا لملك القسنطنطية (ألف ليلة وليلة، 2022: 1 / 323). طبعا هي من الجواري التي أدت دورا إنجابيا. أما أول ما ذكرت لها من المواصفات فهي كانت تتمتع بجمال، وبعد ذلك تم ذكر أوصاف أخرى عنها كالتعقل. (ألف ليلة وليلة، 2022: 1 / 288) أما النقطة المهمة التي لابد من ذكرها هي اهتمامها بالصلاة. يمكن أن نستنتج مما مر أن هذه الشريحة كان عليها اعتناق الإسلام.

ملخص القول أنهن – بجمالهن، وتمتعهن بملكات عقلية، وإظهارهن الإسلام، ومحاولتهن جذب قلوب الملوك - كان بإمكانهن أن يصلن إلى مكانة عالية، ومرموقة في البلاط؛ بالأحرى أن نقول أن يحصلن على ذلك التعويض المناسب لما فقدنه من حرية التنقل أو التعبير عن الرأي.

أما النقطة المهمة التي لابد من الاهتمام بها هي أن «الصفية» التي تمدح زوجها على ما وهبه لها من الاهتمام، وإغداق المال، وترد على سؤال زوجها الملك عن سبب عدم كشفها هويتها (كبنت الملك المسيحي أفريدون) بالقول بأنها كانت تتمتع بكل ما كانت تطمح، هذه الصفية – وفي نهاية المطاف – تترك بيتها الزوجي، وولدها، وبنتها، وذلك برفقة ذوات الدواهي التي تعتبر الغريمة، والخصمة Antagonist في حكاية عمر النعمان. ملخص القول انه لا يمكن الوثوق بالجواري، مهما كانت.

لم تكن الأدوار التي تتمثلها الجواري مقتصرة في خدمة الملوك أو الإنجاب لهم بل تتعدى ذلك إلى قيامهن بأدوار جديدة، وهي تسيير مشاريع منافسي الملوك المسلمين. على سبيل المثال يمكن الإشارة إلى محاولة الملك

«حردوب» المسيحي لأخذ ثأر ابنته الملكة «إبريزة» فنراه يستشير أمه «ذات الدواهي» فلم تكن إجابتها إلا أن أشارت إلى أنه يجب عليه أن يحضر جواري، وفي نفس الوقت أن يأمر حكماء الزمان بأن يعلم هؤلاء الجواري الحكمة، والأدب، وخطاب الملوك، ومنادمتهم، والأشعار. كما أكدت على ضرورة أن يكون العلماء من المسلمين لأجل تعليمهن أخبار العرب، وتواريخ الخلفاء، وأخبار من سلف من ملوك الإسلام، قائلة: «طول روحك واصبر ؛ فإن بعض الأعراب يقول: إن أخذ الثأر بعد أربعين عاما مدته قليلة، ونحن إذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار؛ لأنه ممتحن بحب الجواري». (ألف ليلة وليلة، 2022: 1 / 331)

أن تكون الجواري جزءا من الأدوات التي كان يلجأ إليها الملوك لتنفيذ خططهم لا يقتصر على القصة المذكورة أعلاها بل هناك قصص مختلفة في الكتاب تدل على هذا الدور الذي كان يخوله الملوك إليهن. على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى «باكون» الجارية التي كانت تخدم عند الملك «ساسان»، وأرسلها إلى «كان ما كان» لتقوم بقتله. النقطة المهمة هي أن الكاتب ذكر لنا أن «باكون» الجارية «كانت قد سمعت الحكايات والأشعار وتحفظ النوادر والأخبار» (ألف ليلة وليلة، 2022: 2 / 76).

أما النقطة المهمة التي يتوجه الانتباه نحوها في القصة الأولى، والثانية فهي تثقيف الجواري حيث يبدو أن الملوك (الخلفاء) المسلمين كانوا يفضلون جواري يتمتعن بذاكرة قوية تزخر بمعلومات عن التاريخ، والأشعار، والنوادر، والأخبار. أشارت الباحثة وفاء الدريسي (2016) في كتابها المعنون بـ «الجواري، والغلمان في الثقافة الإسلامية: مقاربة جندرية» إلى مسار تنشئة الجواري، والغلمان،

إذ تعد التثقيف جزءا من هذه التنشئة.

لقد انتبهت الجواري إلى تلك الرغبة العارمة لدى الملوك المسلمين في امتلاكهن، وهذا مما أشارت إليه بنت الملك «حردوب» المسيحي «أبريزة» عند مقابلتها (شركان) ابن الملك عمر النعمان قائلةً: «لأن اعتقادكم أنه يحل لكم التمتع بمثلي كما في كتبكم» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1 / 299).

هناك قصة أخرى عنوانها «حكاية المسلم الجريء، والنصراني» تخبرنا عن استخدام النساء بوصفها اداة لإجراء مخططات حكومية مسيحية. في هذه القصة، يزودنا الراوي أو السارد حكاية أخوين خدما جيش الإسلام مشهورين، فيُقتل أحدهما ويسبى الثاني. يقول قائد جيش المسيحيين: «وددت لو يدخل في دين النصرانية عونا، وعضدا. فقال بطريق من بطارقته: أيها الأمير، أنا أفتنه حتى يرتدّ عن دينه؛ وذلك أن العرب تكثر الصبوة إلى النساء، ولي بنت لها جمال، وكمال، ولو رآها لَفُتِنَ بها» (ألف ليلة وليلة، 2022: 3 / 431).

ففي هذه القصة، وكذلك القصص أعلاها تحذير من النساء المسيحيات؛ حيث يمكن أن يكون تواجدهن في حياة المسلمين ككل، والملوك،، وقادة الجيش بشكل خاص، جزءا من المؤامرة التي حيكت للقضاء عليهم أو جزءا من مشروع تنصير المسلمين، وذلك بغية الوصول إلى الأهداف التي يرمونها.

و تنتهي قصة «المسلم الجريء، والنصراني» إلى وقوع حب بنت البطريق في حب ذلك المسلم الشجاع، وإسلامها، حيث يؤدي ذلك إلى أن ترافقه بنت البطريق إلى بلاد المسلمين، والعيش معه طوال الحياة، وذلك إثر لطف إلهي شمله، وزوجته التي اعتنقت الإسلام.

أما القصة الأخرى التي وردت في مختلف تراث العرب الكتابية فهي قصة (إسلام الراهب) حسب ما ورد في كتاب (الديارات) (أبو الفرج الاصفهاني ، 48:1991) ،إن هذه القصة رواها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (327هـ).

يتحدث الراوي عن شخص أغرم بجارية نصرانية تبيع الخبر ؛ إذ افتتن بها من أول نظرة، وسقط على وجهه مغشيا عليه، كاتبا: «دخل (المغرم) إلى القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة، فسألته عن حاجته فأخبرها أنه عاشق لها، فأعرضت عنه، فمكث في موضعه ثلاثة أيام لم يطعم طعاما، بل صادر شاخصا إلى وجهها، فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت إلى أهلها وأخبرتهم بخبره، فسلطوا عليه الصبيان، فرموه بالحجارة حتى رضوا أضلاعه وشجو رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف، فعزم أهل القرية على قتله، فجاءني رجل منهم وأخبرني بحاله، فخرجت إليه فرأيته طريحا، فمسحت الدم عن وجهه وحملته إلى الدير وداويت جراحه، وأقام عندي أربعة عشر يوما، فلما قدر على المشي خرج من الدير». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3 / 289)

بحسب ما ورد في القصة، «خرج من الدير إلى باب حانوت الجارية ... فلما أبصرته قامت إليه وقالت له: والله لقد رحمتك، فهل لك أن تدخل في ديني، وأنا أتزوجك؟ فقال: معاذ الله أن أنسلخ من دين التوحيد، وأدخل في دين الشرك. فقالت قم وادخل معي داري واقضِ مني أربك وانصرف راشدا. فقال: لا، ما كنت لأذهب عبادة اثنتي عشرة سنة بشهوة لحظة واحدة. فقالت: انصرف عني حينئذ. قال: لا يطاوعني قلبي. فأعرضت عنه بوجهها، ثم فطن به الصبيان فأقبلوا عليه يرمونه بالحجارة ... فخرجت من الدين وطردت عنه الصبيان ... ورفعت رأسه عن الأرض، فسمعته يقول: اللهم اجمع بيني وبينها في الجنة». (ألف ليلة وليلة، 2022: 3 / 290)

ليست نهاية قصة «إسلام الراهب» إلا إثباتا لاستجابة ما تمناه المسلم العاشق حيث ترى تلك الفتاة في الرؤيا بأنها دخلت إلى الجنة برفقة المسلم، وقطفت تفاحتين حيث أكلت إحداهما، وما إن استيقظت من نومها حتى وجدت الأخرى في يدها، فليست منها إلا أن تذهب إلى الدير ليخبر رئيس الدير، ورهبانه بالأمر. لم يمض وقت

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

طويل حتى وافت البنت النصرانية المنية فحدثت بعد موتها أحداث غريبة تؤدي إلى إسلام الراهب «عبدالمسيح».

من الرسائل الملحوظة بين خطوط قصة «المسلم الجريء والنصراني»، وقصة «إسلام الراهب» ، يمكن الإشارة إليها هي أنه في حال وقوع المسلم في حب بنت مسيحية، وطبعا هي من المواقف التي يمكن حدوثها فعلا، فعلى المسلم أن لا يغير دينه، ويستقيمَ كما أُمر فإذا قام بذلك، فالله يساعده على الزواج منها إما في هذه الدنيا (كما نشهد في حكاية المسلم الجريء والنصراني) إما في الآخرة (كما نشهد في حكاية عبدالمسيح الراهب).

هناك شخصيات نسائية تم تصويرها بشكل إيجابي منها «إبريزة» بنت الملك حردوب حيث نراها بأنها تقف بوجه رجال والدها من البطارقة الذين يحاولون أسر «شركان» ولد ( الملك عمر النعمان) الذي دخل عليها لاجئا غير باغ. لها من المواصفات تؤهله أن تكون بنتا لملك.

أما النقطة المهمة التي يجب أن لا ننساها هي الانتقادات التي يتم توجيهها من قبل الشخصيات النسائية كإبريزة إلى المسلمين وطبعا الكلمات التي يُجريها الكاتب على لسان هذه الشخصيات هي عبارة عن الانتقادات التي يريد هو أن يوجهها إلى الملوك المسلمين، وذلك بطريقة غير مباشرة، منها التصرف القبلي الذي يصدر من أبناء الملوك، وبشكل خاص «شركان» عند مواجهته الرومان. نرى الكاتب يقول على لسان «إبريزة»: «فإني رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا، وبلادنا في هذين اليومين. فلما أقبلتم لم أرَ تربيتكم تربية ملوك، وإنما رأيتكم طوائف مجتمعة». (ألف ليلة وليلة، 2022: 300/1).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

اذ ورد انتقاد «إبريزة» انتشار ظاهرة شره شراء الجواري لدى الملك عمر النعمان حيث تخاطب ابن الأخير (شركان) بالقول ان الملك ورغم امتلاكه عددا كبيرا من الجواري، لا يستطيع إغماض طرفها على فتاة مسيحية جديدة تدخل إلى بلاطها.

لا تبخل بنت الملك حردوب بالنصائح، حيث نجدها تضع «شركان» في واقع ما جرى بين الملكين حردوب، وأفريدون، محذرة بذلك أن تصبح جيوش المسلمين فريسة لمشروع الانتقام الذي حاكه الملك أفريدون ضد الملك حردوب. هذه النصيحة التي جرت على لسان «إبريزة» لها رسالة مهمة مضمونها أنه يجب عدم التدخل في الخلافات التي تجري بين الملوك المسيحيين.

من قاموا بتأليف كتاب «ألف ليلة وليلة»، رتبوا الأحداث بشكل يثبتوا عبرها بأن هؤلاء الملوك المسيحيين سيفضلون أن يسلكوا طريق المصالحة، وتبني سياسة الوحدة مقابل الخصم المسلم؛ إذن هناك تحذير بشكل مباشر، وغير مباشر من الافتنان بما يحدث بين هؤلاء من الخلافات كي لا تذهب جيوش المسلمين فريستها.

3 - 2 - الشخصيات الرجالية

أما الشخصيات الرجالية فتشمل كلا من الملوك، وعلماء الدين المسيحيين من البطارقة، والرهبان. فمن الملوك المسيحيين المذكور أسماؤهم في كتاب ألف ليلة وليلة يمكن الإشارة إلى الملك حردوب الذي يريد أخذ ثأر ابنته من الملك عمر النعمان الذي أدى اعتداء الأخير على بنته «إبريز» إلى إعلان الحرب على الملك عمر النعمان كما يمكن الإشارة إلى الملك أفريدون الذي تم إهداء ابنته إلى الملك عمر النعمان كجارية، وذلك من قبل الملك حردوب.

فبين السطور رسالة مهمة، وهي أنه على الملوك أن يتصرفوا بحكمة، ويلجموا رغباتهم؛ لأنه في حال إطلاق الرغبات يمكن أن تحدث طامة كبرى تسفر عن مقتل، وجرح آلاف الأشخاص الذين لم يكن لديهم أية علاقة بالأمر لا من قريب، ولا من بعيد.

3 - 2 - 1 - الملوك، والبطارقة

هناك ملكان مسيحيان تم ذكرهما في قصة الملك عمر النعمان، وهما الملك حردوب، والملك أفريدون. فالملك الأول متأثر كثير التأثر بأمه التي تم تصويرها بشكل سلبي تماما في قصص ألف ليلة وليلة. حردوب الذي فقد ابنته «أبريزة» لا يتصرف كملك بل يتصرف كطفل مدلل. في الواقع، يحاول كاتب هذه الأسطر أن يصف الملك حردوب شخصا متعلقا بأمه، ومتأثرا بأفكارها.

كما نرى أن الملك أفريدون هو الآخر الذي تأثر بأم حردوب حيث نجده يستشيرها في أمر الحرب. من ناحية أخرى، نجد الملكان يؤكدان في كل موقف على هويتهما المسيحية إلى حد يرون في بخور غائط بطريقهم الأكبر بركة. يحاول الكاتب أن يصور مدى قناعة الرومان ببركة بطارقتهم، وفائدة نصائحهم.

اللافت للانتباه هو حضور البطارقة إلى جانب الملوك حيث نجد على سبيل المثال البطريق «ماسورة» الذي يحاول أن يقنع الملكة «أبريز» بأن تسلم ضيفها «شركان» له ليتم تسليمه لوالدها. (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 309)

هناك نقطة هامة وهي ضرورة الفرز بين البطارقة، والرهبان. أما البطارقة فظهورهم في المواقف الحربية حيث نجدهم جزءا لا يتجزأ من الحروب، نافخين في نارها، ولكن صورة الرهبان في قصص ليالي العرب هي صورة إيجابية.

3 - 2 - 2 - الإفرنج

الإفرنج ـ بحسب ما ورد في الموسوعة البريطانية ـ هم مجموعة قبائل جرمانية غربية، والتي قامت بإنشاء ما يدعى بـ «تحالف القبائل الجرمانية». لقد ورد في الموسوعة البريطانية عنهم بأنهم غزوا الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس، وأسس الفرنجة الذين سيطروا على شمال فرنسا، وبلجيكا، وألمانيا الغربية الحالية أقوى مملكة مسيحية في أوائل العصور الوسطى في أوروبا الغربية، واسم فرنسا مشتق من أسمائهم. في منتصف القرن الثالث، حاول الفرنجة دون جدوى التوسع غربا عبر نهر الراين إلى بلاد الغال التي كانت تحت سيطرة الرومان. في منتصف القرن الرابع حاول الفرنجة مرة أخرى غزوا بلاد الغال، وفي عام 358 اضطرت روما للتخلي عن بعض مناطقها لصالحهم.

ما ورد في الموسوعة البريطانية يدل على أنه في الصراعات الطويلة تأثر الفرنجة تدريجيا بالحضارة الرومانية. وأصبح بعض قادة الفرنجة حلفاء رومان في الدفاع عن الحدود الرومانية، وعمل العديد من الفرنجة جنودا مساعدين في الجيش الروماني. ما يؤيد هذا الرأي هو تردد عبارة «عسكر الإفرنج، والروم» في مختلف قصص ألف ليلة وليلة، وبشكل خاص قصة الملك عمر النعمان (ألف ليلة وليلة، 2022: 2/ 321).

ما كان الإفرنج يمتازون به في قصص «ليالي العرب» هو شجاعتهم في المبارزة، والمعركة. هناك مواقف قصصية مختلف وصف فيها الإفرنج بالشجاعة كعبارة «فاستقبلتهم الإفرنج بقلوب أقوى من الصخر» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 316) وعبارة «فوالله ما لقيت أصبر على الجلاد، وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الأبطال» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 316)، وعبارة «فكرّ عليه الإفرنجي كالأسد الغضبان، وصدمه صدمة الفرسان» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 318).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فصلت قصص الليالي بين الإفرنج، والروم حيث نلاحظ أنه كان بإمكان الشخصيات العربية فرز الإفرنج عن الروم. على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى ما، ورد في قصة شركان حيث نجد السارد يقول انهم كانوا يلبسون ملابس الإفرنج؛ فبعد ما تبين لشركان بأن المتنكرين بأزياء الإفرنج ملكة إبريزة، وجواريها، أمرهن أن ينزعن ما عليهن من لباس الإفرنج، وأن يلبسن لباس بنات الروم. (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 321) العبارات أعلاه تدل بوضوح أن هؤلاء الإفرنج كانوا يرتدون ملابس تميزهم عن سائر الأشخاص حيث كان بإمكان الشخص الذي يقابلهم أن يعرفوا هويتهم الإفرنجية؛ كما أنه عندما أراد الملك رومزان خداع «ذات الدواهي»، وأخذ الثأر منها قال لحاشيته: «المصلحة تقتضي أن نلبس اللبس الإفرنجي، ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها، وحيلها». (ألف ليلة وليلة، 2022: 2/ 96)

عبارة «صاح به بالإفرنجي» الواردة في قصة شركان، ومبارزته مع الإفرنج، تقودنا إلى هذا الاعتقاد بأنه لم تكن لديهم معرفة باللغة العربية بل كانوا يتحدثون بلغتهم الخاصة. (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 321) في موقف قصصي آخر في كتاب ألف ليلة وليلة، نرى داية الملك «رومزان» تتكلم مع الملك بلغة الإفرنج (ألف ليلة وليلة، 2022: 2/ 81) حيث يدل ذلك على أنهم كان لهم لغة خاصة مختلفة عن الرومان. كذلك في قصة أخرى تخص مهارات جارية اسمها «تودد» نجد أنه تم وصف معلم النرد عند خسارته معركة النرد مع الجارية بهذه العبارات: «فإذا هو خسر، وقام وهو يرطن بالإفرنجية، ويقول: ونعمة أمير المؤمنين إنها لا يوجد لها مثيل في سائر البلاد». فهذه العبارة تدل على أن تلك اللغة كانت غير معروفة لدى المسلمين. (ألف ليلة وليلة، 2022: 3/ 395)

فيما يخص بمشاغل الافرنج، يجب القول إنه في أول ظهورهم في كتاب ألف ليلة وليلة، نجدهم قراصنة يقومون بالهجوم على سفينة تقل بنت ملك القسطنطية. لقد ورد عنهم: «فلما حلوا القلوع، وساروا، فبينما هم سائرون، وإذا بريح قد خرج عليهم، فأخرج المركب عن طريقها، وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة إفرنجي ومعهم العدة والسلاح» (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 313) لقد أشار هيوود (Haywood ، 2006: 111) إلى قيام الفرنجة بالقرصنة حيث يؤكد على أنشطتهم في هذا المجال.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أما فيما يخص صناعاتهم ففي الكتاب إشارة إلى قيامهم بصناعة «القنطارية» (الرمح) التي تعد نوعا من الأدوات الحربية «وقنطارية خولنج من غريب عمل الإفرنج». (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 472) أما الصناعة الأخرى هي صناعة المجوهرات حيث ورد في الكتاب هذه العبارة «إن هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الإفرنج». (ألف ليلة وليلة، 2022: 1/ 181)

## 4 ـ النتائج

هذه الدراسة أوصلتنا إلى أننا علينا أن نميز بين فئتين من المسيحيين. تمثل الفئة الأولى المسيحيين الذين عاشوا في ظل رعاية حكومة إسلامية، وكانوا على دراية، ومعرفة بلغة العرب، وثقافتها أما الفئة الثانية تمثل المسيحيين الذين لم يعيشوا داخل الحدود، والثغور الإسلامية.

أما الفئة الأولى التي كانت جزءا لا يتجزأ من المجتمع العربي الإسلامي فيبدأ الحديث عنها بقصة «الأحدب» حيث نجد سمسارا مسيحيا متهما بقتل شخص مسلم. فالسمسار المقدم في هذه القصة هو إنسان طيب لم يكن ليؤذي أحدا لو لم يكن السكر الذي أدى إلى ضياع عقله. إذن كان الجيل الأول من المسيحيين المسلمين في

المجتمع العربي الإسلامي أناسا طيبين متعاملين مع أعضاء المجتمع تعاملا إيجابيا، وراضين بمكانتهم. فما تم تصويره في هذا الجزء من الكتاب عبارة عن يوتوبيا يعيش الناس بعضهم إلى جانب بعض بأمان، وذلك على الرغم من وجود أخطاء قد تصدر من بعض الأقليات في المجتمع.

أما صورة النصارى العرب فتتغير في الأجزاء التالية للكتاب، حيث نجد أن المسيحيين يتحولون إلى منافسين ، محاولين تغيير المعادلة لصالحهم. فعند ذلك يتحول هؤلاء من أشخاص يمكن الوثوق بهم إلى أشخاص لا يمكن منح الثقة لهم بل نجدهم يحاولون أن يظهروا بمظهر المسلمين، وذلك بغية التوصل إلى الأهداف التي يرمونها. ففي مثل هذه القصص تحذير من المسلمين الجدد الذين كانوا يسلمون ظاهرا، باقين على تلك المعتقدات الدينية السابقة، مؤمنين بضرورة المحاولة للحصول على ما لدى المسلم من الإمكانيات.

هناك نقطة مهمة ، وهي عدم تطرق قصص ليالي العرب إلا إلى شريحة واحدة من النصارى العرب، وهي شريحة التجار، ورجال الأعمال من دون أخرى من الشرائح. في الواقع، لا تقدم لنا هذه القصص تفاصيل عن حياة شرائح مجتمعية أخرى من النصارى. قد يقودنا الأمر إلى هذه القناعة بأن هذه القصص تحاول أن تنظر إلى شرائح المجتمع المهمة من ناحية، ومن ناحية أخرى تسعى أن تركز على تلك الشريحة التي يمكن أن تشكل خطرا على المسلمين؛ بعبارة أخرى ان امتلاك التجار كميات كبيرة من الأموال يحفزهم على القيام بفعل قد يتعارض مع مصالح المواطنين المسلمين.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أما الفئة الثانية فيبدأ الحديث عنها في مواقف حربية عادة. أكثر الشخصيات المسيحية التابعة لهذه الفئة تظهر في قصص مختلفة كقصة الملك عمر النعمان. فما أدى إلى بروز المشكلة هو محاولة الملك عمر النعمان إرضاء رغبته من بنت الملك «حردوب» المسيحي حيث يجعل الأمر تلك الفتاة أن تخرج من قصر الملك عمر النعمان قاصدة بيت أبيها، وذلك بعد حملها من الملك عمر النعمان. ففي القصة تنويه إلى ضرورة تصرف الملك بحكمة، ودراية خاصة عندما يتعلق الأمر برغباته الشخصية لأنه يمكن أن يؤدي إلى حدوث مشاكل تنتهي إلى مقتل، وإصابة الكثيرين في الحرب؛ إذن هناك تحذير يطلقه كاتبو ألف ليلة وليلة من الجواري، والنساء المسيحيات، حيث يرونهن أداة لتحقيق أهداف العدو، ومخططاتهم.

من ناحية أخرى، نرى كتّاب قصص الليالي يحاولون إقناع الذين يقعون في حب بنات مسيحيات أن يكونوا ملتزمين بما ورد في الدين الإسلامي؛ لأن الله سيساعدهم في الوصول إلى الغاية التي يطمحون فيها بأي طريقة كانت.

هناك انتقادات أيضا طرحت من قبل الشخصيات النسائية المسيحية كإبريزة، والتي في الواقع هي انتقادات يجريها الكاتب على لسان أشخاص القصة، منها أنه لدى جيوش المسلمين تصرفات قبلية مما يمنعهم من تنفيذ

مهماتهم العسكرية.من ناحية أخرى تنصح شركان أن يقوم بجمع العساكر، وإعادة الجنود إلى بلادهم، حتى لا تذهب جيوش المسلمين فريسة مشروع انتقام خطط لها الملك المسيحي؛ بعبارة أخرى، يجب على الملوك المسلمين عدم الاهتمام بما قد يحدث بين الملوك المسيحيين من الخلافات، وعدم الدخول على خط الوقوف إلى جانب أحدهما من دون الآخر.

قصة الملك عمر النعمان مع الملكين المسحيين تدعو القارئ إلى قناعة مفادها أن الملوك المسيحيين يمكن أن ينسوا خلافاتهم، وصراعاتهم السياسية، ويضعوها جانبا ولكنهم مهتمون بصراعاتهم الدينية مع المسمين. ما يدل على هذا الأمر هو اتحاد الملكين المسيحيين ضد الملك عمر النعمان؛ من ناحية أخرى، هناك إصرار من قبل الشخصيات المسيحية على استخدام العبارات، والرموز، والعلامات الدينية المسيحية، حيث يحاول هؤلاء أن يظهروا هوياتهم الدينية في التحدث مع الآخر المسلم.

أهم اقتراح بحثي هو أن يقوم الباحثون بالتركيز على صورة الملكة «إبريزة»، والنصائح التي تقدمها لابن ملك عمر النعمان «شركان» حيث نجدها تتطرق إلى مختلف القضايا المتعلقة بأمر السياسة، والأخلاق.

الاقتراح الثاني هو أن يتم إنجاز بحث يقارن بين صورة الشخصيات اليهودية المتواجدة في كتاب ألف ليلة وليلة وصورة الشخصيات المسيحية لمعرفة المشابهات، والمفارقات بينها.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر


1. ابن النديم، محمد بن اسحاق. (1997). الفهرست. بيروت: دارالمعرفة.
2. ألف ليلة وليلة. (2022). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
3. حسن، سولاف، فيض الله (2004). دور الجواري والقهرمانات في دارالخلافة العباسية. رسالة الماجستير. جامعة بغداد.
4. الشاوي، هديل علي.(2022).الميتوغرافيا في العصر العباسي ألف ليلة وليلة انموذجا. مجلة لارك للفلسفة والسانيات والعلوم الاجتماعية 3 2022 (46) https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss46.2546
5. حسن، ناهضة مطر. (2007). سلطة الجواري في العصر العباسي (158 - 334 هـ). مجلة كلية التربية جامعة واسط 1 (2). https://doi.org/10.31185/eduj.Vol1.Iss2.708
6. حمود، ماجدة. (2011). صورة الآخر في ألف ليلة وليلة. مجلة جامعة دمشق. المجلد 27 (1 و 2): 105 - 140.
7. الدريسي، وفاء. (2016). الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية: مقاربة جندرية. الرباط: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
8. شابشتي، علي بن محمد. (1966). الديارات. بغداد: مكتبة المثنى.
9. القريشي، نورس ومقدسي نيا، مهدي. (2024). صورة الآخر اليهودي في كتاب ألف ليلة وليلة. مجلة لارك للفلسفة والسانيات والعلوم الاجتماعية 52 (1): 89 - 112. https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss52.3359

10. Albrecht, M. C. (1954). The relationship of literature and society. *American journal of sociology*, 59(5), 425-436.

11. Bonner, M. (2010). "*Umar b. al Khattab*", in Encyclopedia of Islam, 2nd ed. (EI2), (ed.) P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel and W.P. Heinrichs, (Leiden: Brill), 10:818–821.

12. Cao, S. (2014). *The variation theory of comparative literature*.
Springer Science & Business Media.

13. Cohen،M.R>Todd،J.M. & Smith،M.B.(2013). The ،GoLd Age، of Jewish-Muslim Relations;Myth and Reality . A History of Jewish-Muslim
Relations: From the Origins to the Present Day،28-38.

14. Cohen ،M.R.(1999). What Was the Pact of Umar? A Literary-Historical Study"،Jerusalem Studies in Arabic and IsLam23:100-158

15. Farag, F. R. (1976). The Arabian nights: a mirror of Islamic culture in the Middle Ages. *Arabica*, 23(Fasc. 2), 197-211.

16. Frassetto, M. (2020). *Christians and Muslims in the Middle Ages: From Muhammad to Dante*. Lexington Books.

17. Goddard, H. (2000). *A history of Christian-Muslim relations*. New Amsterdam Books.

18. Haywood, J. (2006). *Dark Age naval power: a reassessment of Frankish and Anglo-Saxon seafaring activity*. Anglo-Saxon Books.

19. Irwin, Robert. (1994). *The Arabian Nights: A Companion*. NY: The Penguin Press.

20. Jullien, D. (2013). *The Figure of the Jew in A Thousand and One Nights*. In A History of Jewish-Muslim Relations (pp. 955-961). Princeton University Press.

21. Marzolph, U., & Van Leeuwen, R. (2004). *The Arabian Nights Encyclopedia* [2 volumes]: [2 volumes]. Bloomsbury Publishing USA.

22. Matar, N. I. (2008). *Christians in the Arabian nights*. In The Arabian Nights in Historical Context: Between East and West (pp. 131-153). Oxford University Press.

23. Tritton, A.S. (1970), *The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects.* Oxford: Frank Cass.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية